

## دور ثقافة التسامح في تحقيق السلم الأهلي والمجتمعي في العراق بعد عام (2003م)

الدكتور فاضل جواد حميد الهلالي  
الجامعة التقنية/ الفرات الأوسط

### المستخلص

يهدف هذا البحث إلى بيان دور ثقافة التسامح في تحقيق السلم الأهلي والمجتمعي في العراق بعد عام (2003م)، من خلال الوقوف على الإطار المفاهيمي للتسامح ودلالاته اللغوية والاصطلاحية وجذوره الفكرية، ولا سيما في المنظور الغربي، ثم تحليل العلاقة بين نشر ثقافة التسامح وبين ترسيخ العيش المشترك وحمية النسيج الاجتماعي العراقي. وينطلق البحث من فرضية مفادها أن التسامح لا يمثل قيمة أخلاقية مجردة فحسب، بل يعد آلية اجتماعية وسياسية وثقافية لازمة للحد من مظاهر التعصب والكراهية والعنف وإلغاء الآخر، ولا سيما في مجتمع يتسم بالتعدد الديني والمذهبي والعرفي والثقافي مثل العراق. كما يبين البحث أن نشر ثقافة التسامح يتطلب مجموعة من الآليات والمتطلبات، أبرزها ترسيخ حقوق المواطنة وسيادة القانون، وتطوير مناهج التربية والتعليم، وتفعيل الدور الإيجابي لوسائل الإعلام، وإعادة صياغة النسق القيمي والأخلاقي، وتحقيق العدالة الاجتماعية. ويخلص البحث إلى أن تحويل ثقافة التسامح من خطاب نخبوي محدود إلى ثقافة مجتمعية عامة يمثل مدخلاً أساسياً لتعزيز السلم الأهلي والمجتمعي وبناء دولة مدنية قائمة على المواطنة والاحترام المتبادل.

الكلمات المفتاحية: التسامح، ثقافة التسامح، السلم الأهلي، السلم المجتمعي، العراق بعد عام 2003م.

## The Role of the Culture of Tolerance in Achieving Civil and Social Peace in Iraq after 2003

Dr. Fadel Jawad Hameed Al-Hilali  
Al-Furat Al-Awsat Technical University

### Abstract

This research aims to clarify the role of the culture of tolerance in achieving civil and social peace in Iraq after 2003. It examines the conceptual framework of tolerance, including its linguistic and terminological meanings and its intellectual roots, especially from the Western perspective. The study then analyzes the relationship between disseminating a culture of tolerance and consolidating peaceful coexistence while preserving the Iraqi social fabric. The research is based on the assumption that tolerance is not merely an abstract moral value; rather, it is a necessary social, political, and cultural mechanism for reducing fanaticism, hatred, violence, and exclusion of the other, particularly in a society characterized by religious, sectarian, ethnic, and cultural diversity such as Iraq. The study also shows that promoting a culture of tolerance requires several mechanisms, most notably

strengthening citizenship rights and the rule of law, developing educational curricula, activating the positive role of the media, reformulating the value and moral system, and achieving social justice. The research concludes that transforming tolerance from a limited elitist discourse into a general social culture is an essential entry point for strengthening civil and social peace and building a civil state based on citizenship and mutual respect.

**Keywords:** Tolerance, culture of tolerance, civil peace, social peace, Iraq after 2003.

## المقدمة

تعد ثقافة التسامح من القيم الإنسانية والحضارية التي تكتسب أهمية متزايدة في المجتمعات المتعددة دينياً ومذهبياً وعرقياً وثقافياً، لما لها من أثر مباشر في ترسيخ أسس العيش المشترك وحماية السلم الأهلي والاجتماعي. وقد شهد العراق بعد عام (2003م) تحولات سياسية واجتماعية عميقة أفرزت تحديات كبيرة مست النسيج الوطني، وأظهرت الحاجة الملحة إلى إعادة بناء العلاقات الاجتماعية على أساس القبول المتبادل واحترام الاختلاف. ومن هنا تنبع أهمية هذا البحث في دراسة دور ثقافة التسامح بوصفها مدخلاً لمعالجة مظاهر التعصب والكراهية والإقصاء، ووسيلة لتعزيز الحوار والتفاهم بين مكونات المجتمع العراقي. كما يسعى البحث إلى بيان الإطار المفاهيمي للتسامح وجذوره الفكرية، ثم تحليل علاقته بتحقيق السلم الأهلي والاجتماعي في العراق بعد عام (2003م). وينطلق البحث من فرضية مفادها أن نشر ثقافة التسامح وتحويلها إلى ممارسة اجتماعية عامة يمثل ضرورة أساسية لبناء مجتمع مستقر ومتماسك. كما يسلط الضوء على أبرز المتطلبات والآليات الكفيلة بترسيخ هذه الثقافة، ومنها المواطنة وسيادة القانون والتربية والإعلام والعدالة الاجتماعية. وبذلك يحاول البحث تقديم رؤية معرفية تساهم في تعزيز ثقافة التسامح بوصفها خياراً وطنياً وإنسانياً لبناء السلام والاستقرار في العراق.

## المبحث الأول

### الإطار المفاهيمي للتسامح

#### المطلب الأول : مفهوم التسامح

أن طبيعة الأحداث والوقائع الخطيرة التي تمر بها شعوب ودول العالم اليوم ، لا سيما شعوب ودول منطقة الشرق الأوسط ، وتحديدًا في بلدنا العزيز العراق ، والتي تشكل بإفرازاتها و أبعادها وآثارها وتداعياتها مرحلة تاريخية مفصلية جديدة، وذلك على كافة الصعد والمستويات، السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية والثقافية (الفكرية)، والتي تتطلب وبشكل مُلِح وجود مراجعة معرفية شاملة ، وذلك على مستوى المفاهيم والتصورات والرؤى والأفكار و المتبنيات الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية الخ ، التي تقود الفرد والمجتمع ، وتحدد أنماط السلوك التفاعلي بينهما ، وبالتالي أنماط السلوك والتعامل والتفاعل المؤثرة في علاقة الفرد والمجتمع مع السلطة الحاكمة ، لا سيما تلك المفاهيم والتصورات والرؤى والأفكار والمتبنيات الفكرية والثقافية والاجتماعية المشوهة والمنحرفة التي تدفع الفرد والمجتمع، وكذلك السلطة الحاكمة إلى دائرة العنف والعنف

المضاد وإلى دائرة الكراهية والتعصب وإلغاء الآخر، وممارسة التطرف بكافة أشكاله وصوره ، هذه الدوائر التي من شأنها أن تجعل مثل هذه المجتمعات غارقة في دوامة الكراهية والعنف والتطرف، وعلى مسار الانحدار والاندثار القيمي والأخلاقي والإنساني 0

ولعلنا لا نبالغ كثيرا عندما نعتبر أن " ثقافة التسامح " هي المرتكز الأساسي لكافة المجتمعات للخروج من دوامة الكراهية والعنف والتطرف وإلغاء الآخر وذلك في كل زمان ومكان، وبالتالي الدخول في عالم رحب من الحرية والإخاء والسلام والاحترام المتبادل، الذي من شأنه أن يجعل المجتمعات على مسار الارتقاء الفكري والثقافي، وبالتالي الارتقاء الأخلاقي والإنساني والاجتماعي والحقوقى والسياسي والاقتصادي الخ 0

وفي هذا السياق فإن " ثقافة التسامح " تعد من أبرز المفاهيم والتصورات والأفكار التي تستدعي طبيعة المرحلة التاريخية التي تمر بها شعوب ودول العالم أجمع ، لا سيما شعوب ودول منطقة الشرق الأوسط وتحديدا في بلدنا العزيز العراق، تستدعي الوقوف عندها ومراجعتها ودراستها وتحليلها وتحديد السبل والآليات والأدوات والطرق الكفيلة بتفعيلها ونشرها وتوطينها ، بحيث تتحول هذه الثقافة " ثقافة التسامح " من ثقافة نخبوية خاصة إلى ثقافة مجتمعية عامة ، حيث يلاحظ هنا وعلى مستوى التجارب الإنسانية أنه من رحم التعصب الديني والقومي والعربي تبلورت أفكار التسامح والتعايش ، ومن تداعيات الحروب وأهوالها الكبرى نضجت مفاهيم المحبة والحوار وقبول الآخر كجزء لا يتجزأ من الذات والوجود (محموظ، 2005، ص. 190).

وإن التحدي الحقيقي الذي تواجهه الإنسانية اليوم هو : كيف نجعل من هذه المفاهيم والقيم التي تجسر العلاقة بين فئات وطوائف الشعب المختلفة ، وفي الوقت نفسه تضبط حالات التنوع والاختلاف وتجعلها قيما حاكمة وسائدة ليس على مستوى النخب والأطر الضيقة ، وإنما تشكل تيارا مجتمعيا قويا تتجاوز من خلاله كل محاولات التزييف والتهميش وإلغاء الآخر (محموظ، 2005، ص. 190).

حيث إن مشروع نشر " ثقافة التسامح " والعيش المشترك في مجتمعنا هو الإمكانية الوحيدة التي تمكننا من ضبط اختلافاتنا وتبايناتنا الداخلية بكل تشعباتها وعناوينها الدينية والمذهبية والعرقية والطائفية والسياسية والاجتماعية 00 الخ ، وإن استمرار تفجر هذه الاختلافات والتباينات ( الدينية والمذهبية والطائفية والسياسية والاجتماعية ) ، وذلك بشكل أفقي وعمودي من شأنه أن يهدد النسيج الاجتماعي بأسره (محموظ، 2012، ص. 7) ، ويدخل أبناء شعبنا وبلدنا العزيز - لا سامح الله - في أتون الفتن والصراعات والحروب ، ولا ضبط لهذه الاختلافات والتباينات إلا بسيادة " ثقافة التسامح " وضرورات العيش المشترك ، والتي هي العدالة والاحترام المتبادل وصيانة حقوق الإنسان واحترامها.

وحدها هذه الثقافة ومقتضياتها وأبعادها وبالتالي مخرجاتها ، هي القدرة على الحد من الانهيارات الاجتماعية والسياسية 00 الخ ، وهي التي تتمكن من خلالها من إزالة أو محاصرة الاحتقانات والخلافات التي تغذي مظاهر التوتر والعنف في المجتمع (محموظ، 2012، ص. 7)، سواء كانت هذه الاحتقانات والتباينات والخلافات ذات طابع مذهبي أم عرقي أم سياسي أم اجتماعي أم ثقافي ، حيث إنه من الصعب تصور تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي في بلد مثل العراق الذي يتميز بالتنوع العرقي والديني والمذهبي والطائفي والثقافي والسياسي، لا سيما إذا تمظهر هذا التنوع ببروز النزاعات والاحتقانات والتباينات والخلافات المذهبية والعرقية والطائفية والاجتماعية والثقافية والسياسية ، لأن مثل هذه النزاعات والخلافات هي التي تدمر النسيج الاجتماعي والوطني في العراق، وبالتالي عدم تحقيق الاستقرار السياسي في هذا البلد وذلك بأي حال من الأحوال.

وهذا من شأنه أن يخلق كانتونات ضيقة تحاول من خلالها هذه الفئات والأطياف المجتمعية المتنوعة والمتعددة أن تحمي ذاتها من خلال معاداة محيطها، وهو الأمر الذي يبين الحاجة الماسة إلى نشر " ثقافة التسامح " بين هذه الفئات والأطياف المجتمعية المختلفة والمتنوعة ويقودها إلى احترام الآخر ، وجودا ورأيا وحقوقاً (محموظ، 2012، ص. 8) .

وهنا تبرز الحاجة إلى إعادة بناء رؤية عقلانية في التعامل على مستوى معتقداتنا وأفكارنا وتوجهاتنا الفكرية والثقافية والاجتماعية والسياسية 100 الخ ، هذه الرؤية العقلانية التي تتمظهر بفكرة العيش المشترك ، والذي يعني في حدوده الدنيا أن المجتمعات والأوطان تسع الجميع ، و أن المطلوب ليس محاربة الآخر في أفكاره ووجوده الاجتماعي والثقافي والسياسي ، و إنما بناء وتنظيم المساحات المشتركة التي تجمع أبناء الوطن الواحد (محموظ، 2012، ص. 8).

ومن أجل توفير مدخل منهجي لدراسة هذا الموضوع " ثقافة التسامح " يبدو ضروريا تناول الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية لمفردة " التسامح " وما يحمله هذا المصطلح من دلالات وأبعاد وجوانب متنوعة ومتعددة ، لها الأثر الواضح في صياغة الفهم السليم والمطلوب لهذا المصطلح 0

### التسامح لغة واصطلاحا

لما كانت مفردة (التسامح) تتضمن العديد من المداليل والأبعاد والجوانب الفكرية منها والثقافية والاجتماعية والسياسية والاخلاقية والفلسفية ، لذلك فإن مسألة تحديد المعنى اللغوي والاصطلاحى لهذه المفردة أو لهذا المصطلح وبالشكل الذي يسهم في خلق الوعي الاجتماعي السليم به تعد ضرورة من ضرورات هذا البحث ومتطلباته الأساسية ، فمفردة (التسامح) في اللغة العربية تشير إلى:

سَمَحَ - سَمَاحاً وَسَمَاحَةً : بَدَلَ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ عَنِ الْكُرْهِ وَسَخَاءً ، وَ (سَمَحَ) : سَمَاحَةً ، وَسَمَوحَةً ، لِأَنَّ  
وَسَهْلًا فَهُوَ سَمِيحٌ ، وَسَمِيحٌ ، وَ (سَمَاحَةٌ) : عَفَا عَنْهُ ، وَيُقَالُ فِي الدَّعَاءِ : سَمَحَكَ اللَّهُ ، وَيُقَالُ : سَمَحَهُ  
بِذَنْبِهِ 0

وَ (تَسَامَحَ) فِي كَذَا : تَسَاهَلَ ، وَ (بِيعَ السَّمَاحُ) : الْبَيْعُ بِأَقْلٍ مِنَ الثَّمَنِ الْمُنَاسِبِ ، وَ (السَّمَاحَةُ) :  
الْجُودُ وَالْكَرَمُ ، وَ (السَّمْحُ) - يُقَالُ : فَلَانٌ سَمِحٌ : جَوَادٌ سَخِيٌّ ، وَ (السَّمْحَةُ) - يُقَالُ : شَرِيعَةٌ سَمْحَةٌ  
، فِيهَا يُسَّرُ وَسَهْلَةٌ (مجموعة باحثين، 1994، ص. 210).

وَ (سَمَحَ) : - (سَمَاحاً وَسَمَاحَةً) بِالشَّيْءِ : جَادَ بِهِ ، وَ (سَمَحَ) : (سَمَاحاً وَسَمَوحاً وَسَمَوحَةً وَسَمَاحَةً  
وَسَمَاحاً) صَارَ مِنْ أَهْلِ الْجُودِ وَ (السَّمْحُ) : جَمَعَ سَمَاحٌ : الْجَوَادُ ، وَ (السَّمَاحُ) : الْإِجَازَةُ وَالْإِذْنُ وَالتَّسَاهُلُ  
(مجموعة باحثين، 2008، ص. 278-279). وَيَشِيرُ ابْنُ مَنْظُورٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ إِلَى التَّسَامُحِ وَالتَّسَاهُلِ  
باعتبارهما مترادفين (ابن منظور، 2004، ص. 219).

وَيَقُولُ الْفَيْرُوزُ آبَادِي فِي الْقَامُوسِ الْمَحِيْطِ: الْمَسَاهَلَةُ كَالْمَسَاحَةِ، وَتَسَامُحًا- تَسَاهَلُوا، وَ سَاهَلَهُ- يَاسِرُهُ (الفَيْرُوزُ  
آبَادِي، 2005، ص. 46).

وَلَمْ تَرِدْ مُفْرَدَةً " التَّسَامُحُ " فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مُبَاشَرَةً، وَ إِنَّمَا عَبَّرَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَنِ الْمَصْطَلَحِ " التَّسَامُحِ "  
" مِنْ خِلَالِ ثَلَاثَةِ مَصْطَلَحَاتٍ وَهِيَ: الْعَفْوُ وَالصَّفْحُ وَالْمَغْفِرَةُ ، وَ يَتَبَيَّنُ ذَلِكَ مِنْ خِلَالِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَأَنْ  
تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى) (سورة البقرة، الآية 237)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ  
فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (سورة الشورى، الآية 40)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ  
لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى  
يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (سورة البقرة، الآية 109)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) (سورة الحجر، الآية 85)، وَقَوْلِهِ  
تَعَالَى: (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) (سورة الزخرف، الآية 89)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (قُلْ لِلَّذِينَ  
آمَنُوا يَعْزِفُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) (سورة الجن، الآية 14)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ  
مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَى وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ) (سورة البقرة، الآية 263)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ  
وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) (سورة الشورى، الآية 37) 0

وَفِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ :

وَرَدَ عَنْ أَبِي كَبْشِ الْعَمْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) قَالَ : ( لَا يَعْفُو عَبْدٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ يَتَّبِعِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ  
وَجَلَّ إِلَّا زَادَهُ عِزًّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) (الطوسي، 1406هـ، ص. 304).

وَقَوْلُهُ (ص) : (( يَا عَقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ صِلْ مِنْ قِطْعِكَ ، وَاعْطِ مِنْ حَرَمِكَ ، وَاعْفِ عَمَّنْ ظَلَمَكَ ))  
(الطوسي، 1406هـ، ص. 312).

ولعل من أروع ما نُقل عن سيرة سيد الأوصياء وإمام المتقين، الإمام (علي بن أبي طالب (ع) في هذا المجال " التسامح " ، هو ما جاء في عهده (ع) لمالك الأشتر حين ولاه على مصر ، وذلك بقوله : (( و أشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم ، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا ، نغتنم أكلهم ، فإنهم صنفان، أما أخ لك في الدين ، و أما نظير لك في الخلق ، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل ، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعظمهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ، فغنك فوقهم، و والي الأمر عليك فوقك ، والله فوق من ولاك ، وقد استكفأك أمرهم وابتلاك بهم ، ولا تنصبن نفسك لحرب الله ، فإنه لا يد لك بنقمته ، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته ، ولا تندمن على عفو ، ولا تبجحن بعقوبة)) (نهج البلاغة، 2011، ص. 541-542) 0

وفي السياق نفسه فإن السيرة الطاهرة للأئمة الأطهار من آل بيت النبوة (ع) زاخرة بالمواقف والمضامين الأخلاقية والإنسانية العظيمة التي جسدت أروع وأنبئ المعاني لقيمة ( التسامح ) بين بني البشر كافة ، فهذا الإمام محمد الباقر (ع) ومن خلال مناظرة مع رجل نصراني يثبت اروع صور الحوار العقلاني الهادئ ، الذي يقوم على سعة الصدر والاحترام للطرف المقابل ولقدساته ، دون التعرض للخصم بأي إساءة أو أذى ، حتى لو كان الخصم هو الذي يكيّل الشتائم والسباب ، ففي هذه المناظرة بين الإمام الباقر (ع) وهذا الرجل النصراني ، وبعد أن أفلس وعجز عن رد الحجج التي طرحها الإمام الباقر (ع) في هذه المناظرة ، حاول هذا الرجل أن يستفز الإمام (ع) ويختبره من خلال قوله : أنت بقر ! فأجاب الإمام بكل هدوء : (( لا بل أنا باقر )) ، قال : انت ابن الطباخة ، قال (ع) : تلك حرفتها ، قال : انت ابن السوداء البذية ، قال الإمام (ع) : (( إن كنت صدقت غفر الله لها ، وإن كنت كذبت غفر الله لك )) ، فأسلم النصراني وصار من محبيه (ابن شهر آشوب، 1376هـ، ص. 337) 0

وفي إطار الدلالة اللغوية لمفردة ( التسامح ) فإن كلمة tolerance أو toleration ( باللغة الإنكليزية تشير إلى مفردة التسامح باللغة العربية (محموظ وآخرون، 2005، ص. 131).

### الدلالة الاصطلاحية للتسامح

على الرغم من حداثة تداول هذا المصطلح المحوري والأساسي في عملية بناء الفرد والمجتمع في علمنا العربي والإسلامي ، إذ إن العديد من الظواهر السياسية والثقافية والمجتمعية تؤكد بشكل أو بآخر على خلو الساحة العربية والإسلامية اليوم من مقتضيات ولوازم هذه القيمة (محموظ وآخرون، 2005، ص. 183-184)، إلا أن ذلك لم يمنع بعض الباحثين والمهتمين من محاولة تعريف هذا المصطلح وتشخيص دلالاته وابعاده الفكرية والثقافية والاجتماعية المتنوعة والمتعددة ، وبحسب (ماجد الغرابوي) فإنه يرى التسامح : ((موقفا إيجابيا متفهما من العقائد والأفكار ، يسمح بتعايش الرؤى والاتجاهات المختلفة بعيدا عن الاحتراب

والإقصاء ، على أساس شرعية الآخر المختلف دينيا وسياسيا، وحرية التعبير عن آرائه وعقيدته)) (الغرابوي، 2006، ص. 17).

ويشير (عبد الحسين شعبان) إلى أن مبدأ التسامح: ((هو فكرة أخلاقية ذات بعد سياسي وفكري إزاء المعتقدات والأفعال والممارسات، ونقيض فكرة التسامح هو اللاتسامح، أي التعصب والعنف ومحاوله فرض الرأي ولو بالقوة)) (شعبان، 2005، ص. 55).

بينما يعتبر (خالد قطب) : (( أن التسامح كقيمة أخلاقية وحضارية وثقافية رفيعة تعد المدخل الرئيسي لتقدم المجتمعات ، بل يمكن القول إن التسامح هو القيمة التي تجعل الحياة ممكنة )) (قطب وآخرون، 2007، ص. 13)، وفي محاولة للباحث لتعريف هذا المصطلح فقد ذهب إلى أن التسامح : (( هو قدرة الفرد على تقبل أفكار وأفعال الآخر واحترامها والتعامل معها بوصفها أفكارا وأفعالا صادرة من إنسان عاقل وكامل وفاعل في المجتمع )) 0

## المطلب الثاني

### الجدور الفكرية لمفهوم التسامح وفق المنظور الغربي

على الرغم من ارتباط موضوع الجدور الفكرية لمفهوم التسامح بالرؤية الغربية لهذا المفهوم ، وما أفرزته التجربة الغربية في هذا المجال ، وذلك منذ ظهور فلسفة التنوير في القرن الثامن عشر ، والتي صاغها و أرسى قواعدها مفكرون من أمثال (جون لوك) و (فولتير) و (كانط) و(جان جاك روسو) وغيرهم 0 إلا أن ما ينبغي الإشارة إليه وتثبيته هنا هو : (( أن النصوص الكبرى للفكر الإسلامي كانت تحتوي على البذور الأولى لفكرة التسامح ، وتدلل على الطريق المؤدي إلى التسامح بالمعنى الحديث للكلمة)) (أركون، 2010، ص. 113) ، حيث جاءت مفردة التسامح من حيث الدلالة والمعنى من خلال صياغات ومصطلحات مرادفة لها مثل ( العفو ، والصفح ، والمغفرة ) ، وردت في آيات عديدة في القرآن الكريم ، وكذلك وردت في الحديث النبوي الشريف ، وفي سيرة الأئمة المعصومين من آل البيت ( ع ) ، وهو الأمر الذي يدل على أن الرؤية الإسلامية للتسامح هي رؤية متقدمة سبقت بدالاتها وأبعادها وتجلياتها الصياغات الفلسفية والفكرية الغربية لهذه القيمة (التسامح) ، والذي يتطلب دراسات وبحوثا مخصصة لتناوله وتغطيته بجوانبه الواسعة والعميقة والشاملة ، الأمر الذي يخرج عن متطلبات هذا البحث ومنهجيته 0

ولما كان الفكر الغربي ( الأوربي ) لا يتردد في ربط منشأ التسامح بصعود فلسفة التنوير التي برزت في القرن الثامن عشر ، معتبرا أن فكرة الحدائثة المادية والفكرية في الغرب ، قد انبثقت وللمرة الأولى في أوروبا الغربية عن طريق ظهور فكرة التسامح (أركون، 2010، ص. 109) ، التي طرحها ( جون لوك ) في كتاباته عن التسامح ، والتي توجت بتأليفه وطرحه لكتابه ( رسالة في التسامح ) ، حيث تناول (لوك) مفهوم التسامح من حيث النشأة بوصفه مفهوما مقترنا بمحاولة تقريب المسافة بين المذاهب الدينية المتصارعة

التي ترتب على تصارعها والتعصب لكل منها ، حروب دينية مدمرة ، ومآسٍ والوان من الاضطهاد غير الإنساني بقيت أوروبا تعاني منه ولوقت طويل 0

وبذلك بقي مفهوم التسامح الذي طرحه ( جون لوك ) هنا دائراً في الإطار الديني بالدرجة الأساسية ، ومقترنا في الوقت نفسه بالنزعة العقلانية التي سعت إلى وضع الأفكار والمعتقدات والمسلمات القديمة موضع المساءلة ، وذلك في نوع من محاولة إعادة الاعتبار إلى العقل ، ومنحه المكانة الأولى في المعرفة ، وصياغة القيم الفكرية على السواء (عصفور، 2007، ص. 4) 0

وفي هذا السياق قدم ( لوك ) حججه العقلية التي تتعلق بجرية الإيمان والمعتقد لكل إنسان، وذلك بقوله : (( ليس لأي إنسان السلطة في أن يفرض على إنسان آخر ما يجب عليه أن يؤمن به، أو أن يفعله لأجل نجاة روحه هو ، لأن هذه المسألة شأن خاص، ولا يعني أي إنسان آخر ، إن الله لم يمنح مثل هذه السلطة لأي إنسان ، ولا لأية جماعة ، ولا يمكن لأي إنسان أن يعطيها لإنسان آخر فوّه (إطلاقاً)) (بدوي، 2006، ص. 47) ، وذلك وبحسب ( لوك ) بسبب أن ((الناس في كل الدول معرضون للخطأ ، سواء كانوا حكاماً أم كانوا محكومين ، علماء أو أساتذة ، فليس من المعقول أن يوضع الإنسان تحت التوجيه المطلق لأولئك الذين يمكن أن يقعوا في الخطأ في مسألة بهذه الخطورة - الخطورة الأبدية - إنهم إن أساءوا إرشادنا فلن يستطيعوا تعويضنا )) 0 (بدوي، 2006، ص. 47)

هذا من جهة، ومن جهة أخرى ذات صلة فإن ( لوك ) يؤكد على أنه ((لا فائدة في استعمال القوة لجعل الناس على الجادة المستقيمة نحو النجاة)) (بدوي، 2006، ص. 47) ويضيف ((لا يمكن أي إكراه أن يجعل إنساناً يؤمن بضد ما يقتنع به على ضوء عقله واقتناعه)) (بدوي، 2006، ص. 47) وهنا يعطي ( لوك ) بعداً مدنياً للتسامح الديني الذي يقترحه وينشده من خلال ربطه بين التسامح والقاعدة التي يتفق عليها الأفراد، (عش ودع الآخرين يعيشون ) ، حيث إن التسامح الديني الذي يطرحه ( لوك ) هنا يوحي أن في التسامح مع الآراء الدينية الأخرى ، لا يكون الفرد مطالباً بأن يفهم آراء الآخر أو يندمج معها أو حتى يختبرها من الخارج بالنسبة إلى الفرد نفسه ، لكن الفرد بدلاً من ذلك ألا يتدخل تماماً في الممارسات الدينية للآخر ، وكنتيجة للتسامح فإن الحق في أن لا تمنع العقائد الدينية للفرد من أن تكون محمية بالنسبة لكل (ديلو، 2008، ج. 1، ص. 55) 0

ومن خلال طرحه ومناقشته للفضيلة المدنية للتسامح الديني فإن ( لوك ) ومن خلال رسالته في التسامح كان قد أكد على مسألة غاية في الأهمية على صعيد عملية الفصل بين الدولة والكنيسة ، معتبراً أن الدولة وجدت للمحافظة على الخيرات والمصالح المدنية مثل : الحياة ، الحرية ، والصحة ، والملكية 00 الخ، حيث إن سلطة الدولة تتسع لأمر مثل هذه ، ولكنها في الوقت نفسه لا تتسع للأمر الخاصة بالاعتقاد الديني

، وهذا يعني أنه لا شأن للحاكم المدني فيما يتعلق بمسألة العناية بالأرواح ، ذلك لأن (ديلو، 2008، ج. 1، ص. 61) :

-الأرواح لم يكلها الله إليه 0

-وإن القوة لا يمكن أن تفنق عقول الناس 0

-وإن البلاد المختلفة تعتنق أديانا مختلفة 0

ومن هنا يتضح أنه لا يمكن أن تستخدم قوى الدولة لتدافع عن عقائد دينية معينة، كما لا يمكن أن

تستخدم قوة الدولة في مجال تحقيق (الخلاص للأرواح) (بدوي، 2006، ص. 53)0

وبناء على هذه الرؤية فإن (لوك) يرى بأن الكنيسة هي جماعة حرة إرادية ، ينضم إليها الناس لعبادة الله على النحو الذي يعتقدون أنه يرضي الله ويحقق لهم نجاحهم ، وهذا يعني أن الكنيسة هي تجمع خاص تستطيع أن تحدد مبادئها الخاصة دون تدخل الدولة ، ويتفق الأفراد الذين يدخلون هذه التجمعات على قبول المبادئ التي تعلمها هذه التجمعات، وأكثر من ذلك عندما تعلن هذه التجمعات اعتقادها فيما هو يشكل المبادئ الدينية المناسبة ، إلا أنهم وفي الوقت نفسه لا يستطيعون وباسم الدين الاعتداء على الحقوق والخيرات المادية للآخرين، وذلك بتهديدها وسلبها (ديلو، 2008، ج. 2، ص. 61)0

وهذا يعني أن مبدأ التسامح عند (لوك) إنما هو يوحى باتجاه جديد للحياة والتخلي عن اتجاه حياة أخرى (ديلو، 2008، ج. 2، ص. 62)، يكون فيه كل الناس أحراراً في الاعتقاد كما يرغبون ، طالما أنهم لا ينكرون أساس الحقوق المدنية للآخرين ، وبهذا تكون نتيجة اتجاه التسامح الذي يوجد كفضيلة مدنية مهمة رفيعة مقتضاها ومفادها تأمين حقوق الآخرين بشكل مباشر (ديلو، 2008، ج. 2، ص. 62)، وفي هذا السياق (الجدور الفكرية للتسامح) ، وكما طرحها (جون لوك) وذلك في كتابه (رسالة في التسامح) يمكن إجمال أهم الأفكار الرئيسية في هذه الرسالة بحسب (عبد الرحمن بدوي) الذي يشير إلى إمكانية صياغة تلك الأفكار، وذلك على النحو الآتي (بدوي، 2006، ص. 57) :

1 0 لا بد من التمييز الدقيق بين مهمة الحكومة المدنية وبين مهمة السلطة الدينية، واعتبار الحدود بينهما ثابتة لا تقبل أي تغيير 0

2 0 رعاية نجات روح كل إنسان هي أمر موكول إليه هو وحده ، ولا يمكن أن يعهد بها إلى أية سلطة مدنية أو دينية 0

3 0 لكل إنسان السلطة العليا المطلقة في الحكم لنفسه في أمور الدين 0

4 0 حرية الضمير حق طبيعي لكل إنسان 0

5 0 التجاء رجال الدين إلى السلطة المدنية في أمور الدين إنما يكشف عن أطماعهم هم في السيطرة الدنيوية 0

06 لا ينبغي للحاكم أن يتسامح مع الآراء التي تتنافى مع المجتمع الإنساني أو مع تلك القواعد الأخلاقية الضرورية للمحافظة على المجتمع المدني 0

07 يستثني (لوك) من التسامح تلك الفرق أو المذاهب الدينية التي تدين بالولاء لأمر أجنبي 0

08 كذلك ينبغي على الحاكم ألا يتسامح مع الملحدين، لأنه لا أمان لمن لا يؤمن بالله 0

09 يجب ألا تتهم المذاهب المخالفة للمذهب السائد في الدولة بأنها بؤر لتفريخ الفتن وألوان العصيان 0

10 ومن أسباب التآمر والفتن استبداد الحاكم ومحاباته لأتباعه ولبنى دينه 0

وتأتي إسهامة مفكري عصر النهضة (التنوير) في أوروبا في مجال (الجدور الفكرية للتسامح) عند أبرز المنظرين لهذا المفهوم (التسامح)، وذلك بالإضافة إلى أطروحة (جون لوك) في هذا المجال (رسالة في التسامح) والتي تمت الإشارة إليها في الصفحات السابقة، وذلك بشكل مقتضب للغاية لمقتضيات البحث ومتطلباته المنهجية، حيث تبرز هنا إسهامة المفكر الفرنسي (فولتير) المتعلقة ب (التسامح)، وذلك من خلال طرحه لكتابه المعروف (قول في التسامح) والذي أطلق فيه عبارته الشهيرة ((إننا نتوفر على ما يكفي من الدين لكي نكره ونضطهد، ولكننا لا نمتلك منه إلا القليل من أجل الحب وتقديم العون للآخرين)) (فولتير، 2015، ص. 5)

وفي كتابه (قول في التسامح) يتساءل (فولتير): ((هل التسامح حق طبيعي أم حق غنساني)) (فولتير، 2015، ص. 57)؟ ويجيب قائلاً: ((لا يمكن للقانون الإنساني أن يتأسس في أي حال من الأحوال سوى استناداً إلى الحق الطبيعي، والمبدأ الأسمى، المبدأ الكوني في هذا وذاك، هو ذاته في الأرض كلها لا تقم بما لا تود أن يقوم به الآخرون ضدك)) (فولتير، 2015، ص. 57)، والحال أننا لا نعرف كيف يمكن لرجل، حسب هذا المبدأ أن يقول لرجل آخر ((آمن بما تؤمن به، أو سأعرضك للهلاك، آمن أو سأحقد عليك، آمن أو سأسي إليك بما استطعت إليه سبيلاً، إيها الوحش أنت لا تؤمن بديني، إذن لا دين لك ستسيء إلى جيرانك ومدينتك وإقليمك...)) (فولتير، 2015، ص. 57-58)

وبهذا فإن (فولتير) يعتبر أنه: ((إذا كان من الحق الإنساني أن يتصرف المرء بهذه الطريقة، فعلى الياباني إذن أن يكره الصيني، ويحكم بالإعدام على السيامي 000 ويمكن للفارسي بدوره أن ينكل بالتركي، وجميعهم يمكن أن ينقضوا على المسيحي، هؤلاء الذين اقتتلوا طويلاً فيما بينهم)) (فولتير، 2015، ص. 58)، حيث إنه وبحسب (فولتير): ((أن الحق في التعصب هو حق عبثي وهمجي، إنه قانون النمر، وهو رهيب حقاً، ذلك أن النمر لا تمزق فريستها إلا من أجل الأكل، ونحن نمزق بعضنا بعضاً من أجل فقرات من نصوص دينية)) (فولتير، 2015، ص. 58) 0

وفي إشارة لمسألة التعصب التي هي الضد النوعي (الفكري) لمسألة التسامح يؤكد (فولتير) على أنه: ((يجب أن نعرف أن التعصب أصبح مثار سخيرية في أعين بسطاء الناس، وستكون هذه السخيرية ذاتها

حاجزا منيعا أمام شطط كل الطوائف ، لقد ولى الزمن الماضي كما لو أنه لم يكن أبدا ، يجب أن ننطلق دائما من النقطة التي وصلنا إليها ، ومن تلك التي بلغتها الأمم الأخرى)) (فولتير، 2015، ص. 53) ، ويضيف إلى ذلك بقوله : (( إنه زمن التفزز والتخمة ، أو إن شئتم زمن العقل ، الذي يمكن أن ننظر إليه باعتباره مرحلة هدوء عام وضمانة عليها ، إن التنازع مرض وبائي هو الآن في نهاياته ، وهذا الطاعون الذي شفي منه الناس لا يتطلب سوى نظام معتدل 000 إن الإنسانية تفتضي ذلك ، والعقل ينصح به ، ولا يمكن للسياسة أن تخاف منه)) (فولتير، 2015، ص. 55) 0

إن دلالة ومضمون هذه الأفكار التأسيسية لقيمة التسامح، وإعلاء مكانة العقل في ترسيخ هذه القيمة، وعملية الربط بين مجالها ومضمونها الديني، وبين مجالها ومضمونها المدني، من خلال إبراز الفضيلة المدنية للتسامح ، هي التي دعت (روسو) إلى اعتبار أن عصر التنوير هو ملهم التربية والعلوم والفنون ، من خلال تثبيته وتأكيد على أن الاعتقاد في التقدم يقوم عبر العلم والعقل (ديلو، 2008، ص. 68) ، وفي هذا السياق تأتي إسهامة المفكر الألماني (كانط 1724 / 1804 ) ، لإبراز الدلالات والمضامين والأبعاد التي أفرزها عصر التنوير بالحديث عن التسامح عند المسؤول السياسي الذي يعطي لشعبه الحرية في أعمال عقله وضميره ومجهوده الخاص للتعلم في المسائل العقائدية ، من خلال محاولة الوصول، وبالتالي الحصول على فهم ذاتي للمعاني الموجودة في النصوص 0

حيث أن هذه الفكرة تترجم مبدأ ضرورة القراءة المكررة والتأويل المتواصل للنصوص المرجعية في كل مجتمع، ومن قبل كل فرد وهو اقتناع من (كانط ) في قدرة كل إنسان على استعمال عقله وفهم المعاني الدينية دون فرض قراءة واحدة أو تأويل معين (عزوز، 2007، ص. 81) ، ومن هنا يتضح أن (كانط ) يربط بين ( التنوير ) بمدى انتشار مبدأ التأمل الذاتي ، في المسائل والأمور المصيرية واليومية ومدى احترام مبدأ النقد وطرح الإشكاليات ومعالجتها بصورة جدلية في المعنى الأرسطي للكلمة (عزوز، 2007، ص. 81).

إن محاولة الباحث توفير هذا المدخل وهذا الإطار المفاهيمي لمفهوم (التسامح) وذلك على مستوى الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية لهذا المفهوم، وكذلك على مستوى تناول موضوع ( الجذور الفكرية للتسامح ) ، لا سيما وفق المنظور الغربي للتسامح ، هي من المتطلبات المنهجية لهذا البحث، وذلك للولوج في دراسة وبحث موضوع ( العلاقة بين نشر ثقافة التسامح وتحقيق السلم الأهلي والمجتمعي في العراق بعد عام(2003م) ) وهو عنوان المبحث الثاني من هذا البحث 0

### المبحث الثاني

العلاقة بين ثقافة التسامح وتحقيق السلم الأهلي والمجتمعي في العراق بعد عام(2003م)

## المطلب الأول: أهمية نشر ثقافة التسامح في تحقيق السلم الأهلي والمجتمعي في العراق بعد عام(2003م)

لما كان التسامح نتاجا اجتماعيا إنسانيا يتخذ من مبدأ الحوار أسلوبا للتعاملات والعلاقات الإنسانية ، حيث إنه يعبر هنا عن الحالة المثلى للحياة المدنية التي تتوق إليها المجتمعات البشرية وذلك في كل زمان ومكان ، لذلك فإن ثقافة التسامح تقوم وبالدرجة الأساسية على عملية التوعية والتثقيف ، حيث يبرز هنا الجانب التثقيفي بوصفه جوهر العملية التي يتم من خلالها تحويل قيمة التسامح من مجرد مفهوم نظري ( فكري ) ، إلى سلوك وممارسة اجتماعية يمارسها الأفراد والجماعات تجاه بعضهم البعض في مختلف المجالات والجوانب الدينية منها والاجتماعية والسياسية والثقافية ( الفكرية ) 000 الخ 0

مما يتطلب وجود عملية تدريب يومي للذات على اللين ، من خلال ممارسة قيم السماحة والمثل العليا ، ومن خلال تحقيق سلوك منفتح ومتسامح معترف بالآخر اعترافه بالذات ، وهنا يبدو التسامح ضروريا لدفع ما لدى البشر من استعداد للعداوة والتنافر والتعصب والكراهية (الزراعي، 2007، ص. 422)، وفي هذا السياق تبرز أهمية تشخيص ودراسة العلاقة بين عملية نشر ثقافة التسامح وتحقيق السلم الأهلي والمجتمعي ، لا سيما في بلدنا العزيز العراق، وذلك بعد التحولات والمتغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية (الفكرية) التي برزت بعد عام (2003م) ، والتي أشرت و إلى حد كبير وكما نعتقد إلى غياب وعدم حضور لثقافة التسامح وذلك على مستوى الأفراد والجماعات وعلى مستوى شرائح وفئات وأطياف ومكونات المجتمع العراقي المختلفة.

وفي السياق نفسه فإنه يمكن تأشير غياب وعدم وجود لآليات نشر هذه الثقافة وذلك على صعيد وجوانب عدة دينية منها واجتماعية وسياسية وثقافية ( فكرية ) وإعلامية 00 الخ ، وهو الأمر الذي يهدد السلم الأهلي والمجتمعي في العراق ، وذلك على مستوى الحاضر والمستقبل ، حيث إن هذا المفهوم ( السلم الأهلي والمجتمعي ) من الأهمية بمكان بحيث (( لم يعد يقتصر على عدم وجود حرب ، بل أصبح هناك السلم الخارجي والداخلي ، وهو التعايش السلمي بين أفراد المجتمع الواحد ، والذي يتمثل بإشباع حاجات الإنسان السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية سعيا إلى خلق نموذج للتعاون والدمج بين التجمعات البشرية الرئيسية وغياب العنف ، مما يوفر أرضية مناسبة للقضاء على مسببات الصراع وحل الخلافات والتفاهم ، وبالتالي بناء السلام المطلوب ، فعملية السلم لا تتوقف عند حد صناعته وحفظه ، بل تتعدى ذلك إلى بنائه بمعالجة الأسباب الجذرية للصراع وتغيير كافة الهياكل والأنظمة التي ساهمت في إنتاج الأزمة ، كما أن غياب التعايش الأهلي يعني تشظيا للإرادة المشتركة والذاكرة الجمعية ، وهذا هو المعنى الرديف لضياح الهوية وفقدان الوطن لدوره ورسالته (( (الحجلي، د.ت.).

ولما كان العراق دولة تتميز بالتنوع العرقي والديني والمذهبي والثقافي 00 الخ، وهو الأمر الذي يتطلب حضوراً حقيقياً وملموساً لثقافة التسامح ومتطلبات وآليات نشرها لتكون ثقافة مجتمعية عامة تتسع لكل هذا التنوع العرقي والديني والمذهبي والثقافي 00 الخ، الموجود في العراق وذلك من خلال إشاعة ثقافة قبول واحترام الآخر بكل خصوصياته وتطلعاته ومصالحه وتوجهاته الثقافية والسياسية والاجتماعية 00 الخ، المبني على أسس المواطنة والعيش المشترك، والارتكاز على حل كافة المشاكل بالحوار وذلك على قاعدة الاحترام المتبادل، بعيداً عن لغة الإقصاء والتهميش والتعصب التي تولد الكراهية والعنف والعنف المضاد، الأمر الذي من شأنه أن يعزز السلم الأهلي والمجتمعي ويحافظ على النسيج الاجتماعي العراقي، الذي يشكل شرطاً موضوعياً ومحورياً لازماً في عملية بناء أسس الدولة المدنية ومؤسساتها الدستورية والديمقراطية 0

وعلى أساس ما تقدم فإن الدراسات والبحوث التي تعنى بموضوع تشخيص ودراسة العلاقة بين نشر ثقافة التسامح وتحقيق السلم الأهلي والمجتمعي، من الأهمية بمكان بحيث إنها أصبحت ضرورة ومتطلباً أساسياً من متطلبات تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي في كل بلد من بلدان العالم، لا سيما في بلدنا العزيز العراق، حيث إن الباحث يؤكد هنا على أن إشاعة ونشر ثقافة التسامح وتحويلها من ثقافة نخبوية ضيقة وخاصة إلى ثقافة مجتمعية واسعة وعمامة، هو من أبرز التحديات على هذا الصعيد (نشر ثقافة التسامح)، وهو الأمر الذي يتطلب وجود متطلبات وآليات حقيقية ومعتمدة ومؤثرة في هذا المجال، ولعل من أبرزها ما سيتم التطرق إليه في المطلب الثاني من هذا المبحث، والذي جاء بعنوان (متطلبات وآليات نشر ثقافة التسامح في العراق بعد عام 2003م) 0

## المطلب الثاني

### متطلبات وآليات نشر ثقافة التسامح في العراق بعد عام (2003م)

أن من أبرز متطلبات وآليات نشر ثقافة التسامح وتحويلها من ثقافة نخبوية خاصة إلى ثقافة مجتمعية عامة توجه سلوك الفرد والمجتمع نحو مقتضيات العيش المشترك والاحترام المتبادل، لا سيما في بلدنا العزيز العراق، هو موضوع البحث في هذا المطلب، حيث ذهب الباحث إلى تأشير وتحديد العديد من هذه المتطلبات والآليات وذلك على النحو الآتي :-

أولاً / حقوق المواطنة وسيادة القانون 0

ثانياً / مناهج التربية والتعليم 0

ثالثاً / وسائل الإعلام 0

رابعاً / إعادة صياغة النسق القيمي والأخلاقي 0

خامساً / تحقيق العدالة الاجتماعية 0

## أولاً : - حقوق المواطنة وسيادة القانون /

إن من أبرز سمات النظام السياسي الحديث ، هي قيامه على أساس قاعدة المواطنة ، والتي هي وقبل كل شيء مطلب عام للأفراد حيث تتجسد بالتمتع الكامل بالمساواة بين الأفراد في الحقوق والواجبات ، وشعور المواطن واعتزازه بانتمائه الوطني قبل الولاءات الأخرى (عبيد، 2014، ص. 256) 0 لذلك فليس من الغرابة في شيء ، أن تبدو دواعي ترسيخ قيم وحقوق المواطنة كخيار ومشروع يتم من خلاله قياس دفع المسار في العملية السياسية الجارية اليوم في العراق (مجموعة مؤلفين، 2011، ص. 21) 0 حيث أن المواطنة هي الآلية التي يتم من خلالها وعبرها الحد من الصراعات الإثنية، والعرقية، والاجتماعية، على قاعدة عدم التمييز والمساواة (مجموعة مؤلفين، 2011، ص. 75-83).

ولما كانت فاعلية قيم التسامح تبرز في قدرتها على خلق مناخ يستوعب التعدد العرقي والطائفي والديني في أي بلد من بلدان العالم، لا سيما في العراق الذي يتميز بهذا التنوع العرقي والديني والطائفي ، حيث أن إشاعة هذه القيم (قيم التسامح) لا تؤسس للاعتراف بالآخر فقط الذي هو حقيقة التسامح وجوهه ، وإنما بالإضافة إلى ذلك تسعى لقبول الآخر والاعتراف به وقبول التعايش معه (الغرباوي، 2006، ص. 83) ، ومن هنا تكون حقوق المواطنة أحد الأسس والآليات والمتطلبات الكفيلة بإرساء ونشر ثقافة التسامح داخل المجتمع العراقي 0

وفي سياق متصل فإن سيادة القانون هو الأساس، والآلية الثانية لإرساء ونشر وحماية قيم ثقافة التسامح ، بل لا يمكن للتسامح أن يستمر في تأثيره الاجتماعي ما لم يكن هناك قانون يستند إليه ويدافع عن قيمه (الغرباوي، 2006، ص. 110) 0

## ثانياً : - مناهج التربية والتعليم

تحتل مناهج التربية والتعليم مكانة متميزة وكبيرة على صعيد رسم وتشكيل ملامح شخصية التلميذ العلمية والمعرفية والثقافية والاجتماعية والأخلاقية سواء في بواكير المراحل الدراسية في المدرسة أم في مراحل الدراسة الأولية في الجامعات المختلفة 0

وفي هذا السياق فإن الباحث يؤكد على أنه من الضرورة بمكان أن تتضمن المناهج الدراسية ، لا سيما المناهج الدراسية ذات الطبيعة الاجتماعية والفكرية والثقافية ، مفردة التسامح بوصفها إحدى المفردات الدراسية الأساسية ( والمحورية ) المقررة في المنهاج الدراسي العام في مادة ( الوطنية ) بالنسبة للمدارس 0 كما أن الباحث يؤكد على أنه من الضرورة بمكان أن تتضمن مادة ( حقوق الإنسان والديمقراطية ) والتي يتم تدريسها في الجامعات العراقية المختلفة مفردة (التسامح) ، بوصفها إحدى أهم المفردات الأساسية والمحورية في هذه المادة.

حيث تبرز هنا الحاجة الماسة في أن نعطي من شأن الثقافة والمعرفة القادرة على استيعاب الجميع بتنوعاتهم واختلافاتهم الاجتماعية والفكرية (محفوظ، 2005، ص. 194) ، ولا شك في أن الدور المتميز الموكل للمؤسسات التربوية والتعليمية في هذا المجال هو دور محوري وأساسي في نشر ثقافة التسامح والتثقيف عليها من خلال تكريس مبدأ الاختيار الحر والمتعقل لحياة تتعايش فيها الأنا مع الآخر وتعترف بجزئته وحقه في الاختلاف (الزراعي، 2007، ص. 439).

### ثالثاً : وسائل الإعلام

لما كانت وسائل الإعلام اليوم تمثل أحد أهم مراكز صناعة الرأي العام وتوجيهه، لا سيما مع وجود هذه الثورة المعلوماتية في عالم الاتصالات ونقل المعلومات بكافة صورها وأشكالها ، بحيث أصبح عالمنا المعاصر والمقبل ، وبحسب (الفن توفلر) يقوم على تقسيم جديد معياره المعلومة، ومن يمتلك صناعتها ويحتكر تقنياتها ، إنه تقسيم يقوم على معادلة ( من يعلم – من لا يعلم ) أو ( من يحتكر المعلومة – من يفتقر المعلومة ) (الطعان ومراد وفياض، 2015، ص. 710)

وبذلك يتبين ما لوسائل الإعلام بكافة أشكالها وصورها من دور محوري وكبير في التأثير في صياغة الوعي المجتمعي وبلورته تجاه قضية معينة سياسية كانت أم اجتماعية أم دينية أم اقتصادية أم ثقافية عامة ، وهنا يبرز الدور المحوري الذي من المفروض أن تضطلع به وسائل الإعلام في إشاعة ونشر (ثقافة التسامح ) وقيمها ودلالاتها السلمية والنبيلة التي تسهم وإلى حد بعيد في حماية النسيج الاجتماعي ، وذلك من خلال اعتماد خطط وبرامج إعلامية هادفة تجعل من ثقافة احترام الرأي والرأي الآخر، وبالتالي اعتماد وترسيخ ونشر ثقافة الاحترام المتبادل التي هي من أهم مرتكزات عملية نشر (ثقافة التسامح ) ، غاية أساسية من رسالتها الإعلامية للجمهور ، وفي هذا الصدد يشير (حسن زعرور) إلى أن أحد أسباب العنف المتولد نتيجة الاستخدام الخاطيء للإعلام اللبناني إبان انتهاء الحرب الأهلية في لبنان عام (1990 م ) ، يرجع إلى خلو البرامج التي كان يعرضها التلفزيون اللبناني من أية مادة ثقافية إلا ما ندر منها (زعرور، 1994، ص. 58-66)

وفي هذا السياق فإن الباحث يؤشر على غياب مبادئ للبرامج الثقافية الهادفة والرصينة في معظم وسائل الإعلام والفضائيات العراقية، والتي من خلالها يتم تناول قضايا ثقافية تتعلق ببناء الفرد والمجتمع ، لا سيما على مستوى إشاعة ونشر (ثقافة التسامح ) ، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن معظم وسائل الإعلام والفضائيات العراقية أقحمت الفرد والمجتمع في دوامة الخلافات والصراعات والمهاترات السياسية التي يتم طرحها في برامج ذات صبغة سياسية بحتة ليس لها أي مدلول أو أثر على مستوى بناء الفرد والمجتمع ثقافياً واجتماعياً و أخلاقياً وسلوكياً ، و الأنكى من ذلك أن جل هذه البرامج السياسية يتصدرها أناس ممارسون للسياسة ومنخرطون في السلطة، وهم في الحقيقة مأزومون بها وطارئون عليها ، ومن ثم تنتقل

خلافات هؤلاء الساعين للاستحواذ على السلطة لخدمة مصالحهم ومصالح أحزابهم إلى المجتمع ، وهو الأمر الذي يؤدي إلى مظاهر العنف والتعصب والتطرف وإلغاء الآخر ، لا سيما عندما تتحول الفضائيات ووسائل الإعلام العراقية إلى منصات طائفية وحزبية فقط، بحيث يصبح لكل منطقة وطائفة لسانها وخطابها الإعلامي الناطق بها ، على حساب حضور الخطاب الوطني الشامل، ففي الوقت الذي من المفترض أن يكون فيه قادة الرأي العام وصناعه هم من ذوي العلم والمعرفة والتخصص، والنخب الثقافية الواعية والرصينة، فمثل هؤلاء هم الذين يجب التركيز عليهم في عملية بناء الفرد والمجتمع ثقافياً واجتماعياً وأخلاقياً وسلوكياً، إلا أنه يلاحظ على العكس من ذلك، حيث نجد الآخرين هم من يتصدر المشهد في هذا الجانب، صناعة الرأي العام، وتشكيله، وتوجيهه، وهنا تبرز المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتق وسائل الإعلام العراقية وبمختلف توجهاتها من خلال إبراز هذه النخب العلمية والثقافية المتخصصة والرصينة، وذلك للمساهمة في عملية صناعة الرأي العام وتشكيله وتوجيهه تجاه نشر ثقافة التسامح، حيث إن ما يصدر من خطاب واع ومسؤول من قبل هذه النخب الثقافية هو المعول عليه في عملية بناء الفرد والمجتمع ثقافياً واجتماعياً و أخلاقياً وسلوكياً، لا سيما فيما يتعلق بموضوع نشر ثقافة التسامح.

وفي هذا السياق فإنه يلاحظ أن وسائل الإعلام المحلية والوافدة قد تحولت إلى مصانع لتشكيل الرأي العام بمختلف اتجاهاته، حيث يذهب بعضها بالمجتمع إلى دائرة القيود النفسية والعاطفية، وبعضها الآخر تترجم أجندات وخرائط مجتمعية يراد منها وبحسب (نظرية القطيع) أن تتولى أو تسلك سلوكاً يبتغيه من يملك أو يتحكم بهذه القناة أو تلك، الأمر الذي من شأنه أنه يجعل المشهد العراقي برتمته هو بمثابة ساحة للحرب الناعمة بين من يريد هذا أو ذاك، وذلك على مستوى الكتل السياسية والحكومات والأشخاص والتيارات والجهات والأطراف الإقليمية والدولية، كان ومازال الإعلام ووسائله من بين أسهل الطرق للنفوذ إلى عملية تشكيل وصناعة الرأي العام بهذا الاتجاه أو ذاك (مجموعة باحثين، 2011، ص. 204)، وهو الأمر الذي أسهم وإلى حد بعيد بغياب ثقافة (الحوار) والاحترام المتبادل، وثقافة البحث عن المشتركات الوطنية والاجتماعية.

ولما كانت وسائل الإعلام والفضائيات العراقية تتحمل المسؤولية الكبرى في تهيئة الرأي العام العراقي للولوج إلى مرحلة السلم الأهلي والمجتمعي والتنافس السياسي الديمقراطي ، لذلك فإن نشر ثقافة التسامح تتطلب من الإعلام أن يلعب دوراً هاماً بنقل الوقائع والصورة الحية بصدق إلى المواطنين ، ويكون موضوع الرسالة الإعلامية الجديدة هي الدعوة إلى إقامة حوار ثقافي وحضاري بين مكونات وأطياف الشعب المختلفة ، بحيث يكون مضمون الرسالة هو الدعوة إلى توثيق الصلات الثقافية وفتح الطريق إلى حوار حضاري قائم على أساس احترام وقبول الآخر والاعتراف به وبحقوقه (زعرور، 1994، ص. 34) وهذا ما لم نجده في معظم وسائل الإعلام العراقية اليوم ، بل أن الملاحظ هنا هو أن بعض وسائل الإعلام العراقية ساهمت

وبشكل كبير في تأجيج وتحذير الحس الطائفي والمذهبي والعرقى والمناطقى والحزبى 000 الخ ، وبالتالي ساهمت في صناعة الرأي العام وتوجيهه باتجاه التعصب والتطرف وإلغاء الآخر والعنف و العنف المضاد الذي انخرطت به معظم الكتل والأحزاب السياسية العراقية وبشكل يتعدى الثوابت الوطنية والديمقراطية.

#### رابعاً : - إعادة تشكيل النسق القيمي والأخلاقي

لما كان التسامح نتاجاً اجتماعياً إنسانياً يقوم على أساس اعتماد مبادئ الحوار والاحترام المتبادل وقبول الآخر والاعتراف به ، ورفض كل أشكال التعصب والإقصاء وإلغاء الآخر ، وبالتالي ممارسة العنف بأشكاله المختلفة ، لذلك فإن التسامح يتطلب تشكيل نسق قيمي وأخلاقي جديد يتضمن كل هذه المبادئ والقيم التي من خلالها يمكن اكتشاف فرص كبيرة لنشر ثقافة التسامح وتحويلها من ثقافة نخبوية خاصة إلى ثقافة مجتمعية عامة ، حيث لا يمكن الحديث عن وجود لثقافة التسامح ومتطلبات وآليات نشرها وإشاعتها بين الأفراد والجماعات وبين شرائح وفئات ومكونات الشعب المختلفة مع وجود نسق قيمي وأخلاقي قديم وموروث قائم على العصبية والرفض والإقصاء والعنف واحتكار الحقيقة ، ولعل من أبرز مظاهر هذا النسق القيمي القديم والموروث هو مسألة الارتكان والارتكاز الزمن على منطق العنف لتسوية الخلافات وتصفية الحسابات سواء بين الأفراد أو الجماعات العرقية أم الدينية أم المذهبية المختلفة ، وهو الأمر الذي ينعكس وبشكل مباشر على طبيعة علاقة الفرد والجماعة مع السلطة الحاكمة ، لا سيما عند شعوب دول العالم الثالث 0

وإن بلدنا العزيز العراق ليس استثناء من هذا التصور ، بحيث أصبح الفرد والمجتمع لا يستطيع أن ينفك من عقدة التفاعل والتعامل مع السلطة الحاكمة واحترامها ، إلا من خلال هاجس الخوف من هذه السلطة المرتبط بحجم ومقدار العنف الذي تمارسه تجاه الأفراد والجماعات ، وبهذا يكون منطق العنف بمثابة نسق قيمي حاكم على سلوك الأفراد والجماعات في علاقاتهم المتبادلة وفي علاقاتهم مع السلطة الحاكمة ، وهو الأمر الذي يقوض إشاعة ونشر ثقافة التسامح وتحقيقايتها 0

كما أنه وفي السياق نفسه (إعادة تشكيل النسق القيمي والأخلاقي) تبرز مشكلة (الولاء القبلي) والتي تتميز بها الكثير من شعوب دول العالم الثالث ، لا سيما في بلدنا العزيز العراق ، حيث إن الفرد في مثل هذه المجتمعات القبلية يستمد مكانته وقيمه من خلال وجود قبيلته ، ومن خلال موقعه في هذه القبيلة ، وعلى هذا الأساس يستطيع الفرد أن يتحرك داخل الوسط الاجتماعي العام الذي يعيش فيه ويتعامل معه ، لذلك فإن ولاء الفرد في مثل هذه المجتمعات القبلية هو أولاً وقبل كل شيء يكون لعشيرته وقبيلته (الغرباوي، 2006، ص. 32)، وهنا مكمن الخطر، وذلك عندما تتقاطع الولاءات ويختار الفرد بين الولاء لعشيرته أو الولاء للدين أو القانون أو الوطن ، فما هو الموقف في مثل هذه الحالات وكيف يكون التصرف؟ (الغرباوي، 2006، ص. 32) 0

وفي هذا السياق فإن الباحث يشير إلى أن النظام الاجتماعي (القبلي العشائري) الموجود في العراق يستطيع إعادة إنتاج نفسه وحضوره بطريقة أو بأخرى بحيث يتساقق ويتماهى مع طبيعة النظام السياسي القائم ، سواء كان نظام دكتاتوريا أم ديمقراطيا، وبالتالي فإن النظام الاجتماعي الذي يقوم عليه النظام السياسي في العراق وفي كل الأحوال هو النظام الاجتماعي القبلي ، وهذا من شأنه أن يجذر ويزيد من حالة التعصب القبلي، والتي هي على النقيض من ثقافة التسامح ومتطلبات وآليات نشرها وإشاعتها 0

وفي السياق نفسه (إعادة تشكيل النسق القيمي والثقافي) فإن الباحث يشير إلى ضرورة تشخيص وبحث ودراسة مسألة (احتكار الحقيقة ومحاوله الانفراد بها) ، والتي يطرحها البعض من مختلف الاتجاهات والتيارات الدينية والفكرية والثقافية والسياسية 00 الخ ، ذلك أن مسألة محاولة اكتشاف ومعرفة الحقيقة هو أمر متاح للجميع ، لا سيما أصحاب العقول المتنورة ، ولا يمكن لأحد ما أن يدعي معرفته لهذه الحقيقة أو تلك واحتكار معرفته بها ، لأن هذا من شأنه أن يدخل شرائح وفتات ومكونات الشعب المختلفة في دائرة التصنيف والأحكام المسبقة ، وبذلك تسود أجواء التشنج والحصام ، وحينما تتضخم مسائل الخلاف يبدأ الناس بتصنيف بعضهم البعض تصنيفا حادا وقاسيا ، وبذلك يصدر عن بعضهم البعض أحكاما غيائية قاسية ، فهذا كافر ، وهذا مشرك ، وهذا مبتدع ، وهذا فاسق ، وهذا رافضي ، وهذا علماني، وهذا عميل 00 الخ (الصفار، 2002، ص. 113)، وهذا هو التطرف والتعصب بعينه الذي سيكون أحد أهم دوافع ومسببات العنف ، وهذا كله على النقيض من محاولة نشر وإشاعة (ثقافة التسامح) وتحقيق مضمينها 0

#### خامسا : - تحقيق العدالة الاجتماعية

لاشك في أن تحقيق العدالة الاجتماعية بين الأفراد والجماعات والمكونات ، وذلك على المستويات الاقتصادية والسياسية والقانونية والثقافية والاجتماعية 00 الخ ، يعد أحد أهم مرتكزات عملية إشاعة ونشر (ثقافة التسامح) ، حيث إن العدالة بكافة صورها تعد هي المعبر في عملية نشر وإشاعة (ثقافة التسامح) ، فلا صيانة لمقدسات الإنسان ، ولا محافظة لمكتسباته المادية والمعنوية ، بدون عدالة تصون كل هذه المكتسبات والمنجزات ، وتحول دون التعدي عليها من أي طرف كان أو أية جهة كانت ، ذلك أن العدالة كقيمة ومقتضيات ولوازم ، هي التي تقود الإنسان إلى تجاوز كل الأنانيات وتخطي كل العصبية التي تقضي إلى العسف والجور (محموظ، 2005، ص. 189) ، الأمر الذي من شأنه أن يسهم وبشكل كبير إلى الحلولة دون نشر وإشاعة (ثقافة التسامح) وتحقيق مضمينها

#### المراجع

1. أركون، محمد. (2010). أين هو الفكر الإسلامي المعاصر (هاشم صالح، ترجمة وتعليق، ط4). بيروت: دار الساقية.
2. ابن شهر آشوب. (1376هـ). مناقب آل أبي طالب (ج3). النجف الأشرف: المكتبة الحيدرية.

3. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الأفريقي المصري. (2004). لسان العرب (مج5-6، ط6). بيروت: دار الصادر.
4. بدوي، عبد الرحمن. (2006). مقدمة كتاب رسالة في التسامح لجون لوك. بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين.
5. الحجلي، تغريد عبده. (د.ت.). مقال منشور على موقع الإنترنت: [tfpb.org/old/2page](http://tfpb.org/old/2page).
6. ديلو، ستيفن م. (2008). التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني (فريال حسن خليفة، ترجمة، ج1-2). القاهرة: مكتبة مدبولي.
7. زعرور، حسن. (1994). وسائل الإعلام اللبنانية من الحرب إلى السلم الأهلي. مجلة العرفان، 78(3-4)، 66-58.
8. زعرور، حسن. (1994). وسائل الإعلام اللبنانية من الحرب إلى السلم الأهلي. مجلة العرفان، 78(5-6)، 34.
9. شعبان، عبد الحسين. (2005). فقه التسامح في الفكر العربي الإسلامي. بيروت: دار النهار للنشر.
10. الصفار، حسن موسى. (2002). التسامح وثقافة الاختلاف. بيروت: دار المحجة البيضاء.
11. الطعان، عبد الرضا، مراد، علي عباس، وفياض، عامر حسن. (2015). موسوعة الفكر السياسي عبر العصور. الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع.
12. الطوسي، الشيخ. (1406هـ). تهذيب الأحكام (ط4). بيروت: دار التعارف للمطبوعات.
13. عبيد، حسين. (2014). المجتمعات المتعددة: الأقليات وإشكالية التعايش. بيروت: دار المنهل اللبناني.
14. عزوز، رجاء العتيري. (2007). بحث منشور في كتاب التنوير والتسامح وتحديد الفكر العربي. قرطاج: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة.
15. عصفور، جابر. (2007). عن التسامح. مجلة دبي الثقافية، العدد 25، 4.
16. الغراوي، ماجد. (2006). التسامح ومنابع اللاتسامح: فرص التعايش بين الأديان والثقافات. بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين.
17. الفيروز آبادي. (2005). القاموس المحيط (محمد نعيم العرقوسي، تحقيق، ط8). بيروت: مؤسسة الرسالة.
18. فولتير. (2015). قول في التسامح (سعيد بنكراد، ترجمة وتعليق). بيروت: المركز الثقافي العربي.

19. قطب، خالد، وآخرون. (2007). التنوير والتسامح وتجديد الفكر العربي. قرطاج: المجمع التونسي للعلوم والآداب.
20. محفوظ، محمد. (2005). في معنى التسامح: التسامح وآفاق السلم الأهلي. في التسامح وجذور اللاتسامح. بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين.
21. محفوظ، محمد. (2012). التسامح وقضايا العيش المشترك (ط2). بيروت: المركز الإسلامي الثقافي.
22. محفوظ، محمد، وآخرون. (2005). التسامح وجذور اللاتسامح. بغداد: مركز دراسات فلسفة الدين.
23. مجموعة باحثين. (1994). المعجم الوجيز. القاهرة: وزارة التربية والتعليم المصرية.
24. مجموعة باحثين. (2008). المعجم الوسيط (ج1-2). بيروت: دار إحياء التراث العربي.
25. مجموعة باحثين. (2011). المواطنة والهوية العراقية. بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام.
26. مجموعة مؤلفين. (2011). المواطنة والهوية العراقية. بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام.
27. نصح البلاغة. (2011). نصح البلاغة (علي محمد علي دخيل، شرح، ط10). بيروت: دار المرتضى.